ألوان الصراع في القصص القرآني

" دراسة تحليلية "

د/ محمد طه علام

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد كلية الآداب جامعة كفر الشيخ

ملخص البحث

يتوجه البحث لدراسة ألوان الصراع من خلال القصص القرآني، إذ المتتبع لآيات القرآن الكريم لا يعجزه أن يقف على حقيقة، خلاصتها أن هذه الصراعات هي سنة أجرى الله عليها كونَه، وأن الحياة لا يمكن أن يسودها الخير المطلق، بحيث تخلو من الشر، وكذلك لا يمكن أن تعاني من الشر المطلق بحيث لا يكون فيها قائم بالحق، وهذه هي سنة الله في خلقه منذ خلق آدم عليه السلام إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ : (ألوان الصراع في القصص القرآني) ، مشتملاً على ألوان متعددة من أنواع الصراعات ـ الإيمانية، والمادية، والثقافية، والنفسية والسياسية ـ والتي جرى ذكرها في القرآن الكريم من خلال قصص وأحداث تبرز طبيعة هذه الصراعات، والآيات القرآنية الباهرة ناطقة بما تحمله من معانٍ وحكمٍ ومواعظ في سردها لقضية الصراع بين الحق ومخالفيه، وبين الشر وضده .

وينتظم البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية (ألوان – الصراع – القصص القرآني – أصحاب الكهف– صاحب الجنتين).

مقدمة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، أمّا بعد:

فإن الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً ﷺ وأيّده بمعجزة هي من أعظم المعجزات التي جاء بها الأنبياء على مر العصور والأزمان، وهي القرآن الكريم، فهو معجزٌ في فصاحته وبلاغته، معجزٌ في علومه ومعارفه، وفي قصصه وأخباره، وفي أحكامه وتشريعاته، ومن تمام إعجاز القرآن الكريم أنه اشتمل على كل ما يحتاجه الإنسان في أمور حياته، فقد اشتمل على العقائد، والأحكام والتشريعات، والقصص والغيبيات، وغيرها من الأمور التي تصلح أحوال العباد في معاشهم وفي معادهم، فهو لم يعتمد أسلوباً واحداً لإيصال رسالته إلى الناس، بل تعددت أساليبه وتنوعت، فهو حيناً يعتمد أسلوب الحوار، وحيناً آخر يعتمد أسلوب ضرب المثل، وتارة يوجّه بالقصة، وتارة أخرى يعتمد أسلوب التربية النفسية والتوجيه الخلقي، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من تأمل وتدبر هذا الكتاب العزيز .

ومما اشتمل عليه هذا الكتابُ المعجزُ القصصَ القرآنيَّ، وهذا الأسلوب من الأساليب التي اعتنى القرآن الكريم بها عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار، وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذا المعنى في أكثر من آية، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين اعتماد القرآن الكريم أسلوب القصص، تحقيقاً لمقاصدٍ وأغراضٍ ساميةٍ .

---

(١) سورة الأعراف من الآية (١٧٦).
(٢) سورة يوسف عليه السلام الآية (١١١).

ومما تضمنه هذا القصص القرآني قضية الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والخير والشر، والخطأ والصواب؛ إذ المتتبع لآيات القرآن الكريم لا يعجزه أن يقف على حقيقة، خلاصتها أن هذه الصراعات هي سنة أجرى الله عليها كونَه، وأن الحياة لا يمكن أن يسودها الخير المطلق، بحيث تخلو من الشر، وكذلك لا يمكن أن تعاني من الشر المطلق بحيث لا يكون فيها قائم بالحق، وهذه هي سنة الله في خلقه منذ خلق آدم عليه السلام إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (٣) .

ومن هذا المنطلق فقد جاء هذا البحث الموسوم بـ : (ألوان الصراع في القصص القرآني) ، مشتملاً على ألوان متعددة من أنواع الصراعات ــ الإيمانية، والمادية، والنفسية ــ والتي جرى ذكرها في القرآن الكريم من خلال قصص وأحداث تبرز طبيعة هذه الصراعات، والآيات القرآنية الباهرة ناطقة بما تحمله من معانٍ وحكمٍ ومواعظ في سردها لقضية الصراع بين الحق ومخالفيه، وبين الشر وضده .

وينتظم البحث في خمسة مباحث – بعد بيان مفهومي "الصراع" و "القصص" – على النحو الآتي:

التمهيد: بيان مفهومي "الصراع" و "القصص" لغةً واصطلاحاً .

المبحث الأول: الصراع الإيماني في قصة أصحاب الكهف .

المبحث الثاني: الصراع المادي في قصة صاحب الجنتين .

المبحث الثالث: الصراع الثقافي في قصة موسى عليه السلام مع الخضر.

المبحث الرابع: الصراع النفسي في قصة مريم عليها السلام .

المبحث الخامس: الصراع السياسي بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ .

(٣) سورة الفتح الآية (٢٣).

التمهيد

بيان مفهومي "الصراع" و "القصص" لغةً واصطلاحاً

أولاً: مفهوم "الصراع:

يرجع الصراع في مادته اللغوية إلى الصَرْعُ: وهو الطَّرْحُ بالأَرض، وخَصَّه في التهذيب بالإِنسان صارَعَه فصَرَعَه يَصْرَعُه صَرْعاً وصِرْعاً، فهو مصروعٌ وصرِيعٌ، والجمع صَرْعَى؛ والمُصارَعةُ والصِّراعُ مُعالَجَتُهما أَيُّهُما يَصْرَعُ صاحِبَه، وفي الحديث: « مثَلُ المؤمِنِ كالخامةِ من الزَّرْعِ تَصْرَعُها الريحُ مرة وتَعْدِلُها أُخْرى »(٤) أَي تُمِيلُه وتَرْمِيها من جانب إِلى جانب. والصرعة حالة المصروع،، ورجل صريع أي: مصروع ، وقوم صرعى قال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ﴾ (٥)، والصراع معالجة المتصارعين أيهما يصرع صاحبه (٦) .

والمراد بالصراع بين الحق والباطل: هو المعالجة بين أهل الحق وأهل الباطل أيهما يصرع أو يدفع صاحبه ، وقد عبر القران الكريم عن هذا المعنى بالتدافع الذي هو سنة إلهية من سنن الاجتماع البشري بين أهل الحق المصلحين ، وأهل الباطل المفسدين ،كل يقاوم الآخر، ويصارعه ويقاتله(٧) .

ثانياً: مفهوم "القصص"

يرجع القصص في مادته اللغوية إلى الإخبار والقصّ والتتبع؛ يقال: قص عليه الخبر قصصاً؛ أي أعلمه به وأخبره ، ومنه قص الرؤيا. و قص أثره أي : تتبعه، وكذلك اقتص أثره ، وتقصص أثره ، يقال أقصها قصاً ، وقوله تعالى :﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا

---

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث سعد بن إبراهيم عن ابن كعب بن مالك، (٩٤/١٩) حديث [١٨٤] ، وأصله في صحيح البخاري عدا قوله: " تَصْرَعُها الريحُ مرة وتَعْدِلُها أُخْرى". كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، (١١٤/٧) حديث [٥٦٤٣].

(٥) سورة الحاقة من الآية (٧).

(٦) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (١/ ٩٥٢) . لسان العرب، ابن منظور، (١٩٧/٨) . المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ٢٨٠ ، مادة: (ص.ر.ع).

(٧) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٢/ ٤١٩) .

قَصَصًا ﴾ (٨)، أي : رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر ، وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (٩)، أي: نبين لك أحسن البيان ، وقال بعضهم القص : البيان ، والقصص الاسم ، والقاصُّ من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها. وقيل : القاص من يقص القصص لأتباعه خبراً بعد خبر ، وسوقه الكلام سوقاً (١٠).

فالقصة مفردة ، والقصص : جمع وهي المصدر ، والقاص : اسم فاعل ، وهو الذي يقوم بفعل القص ، والقصاص صيغة مبالغة ، أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصة من جميع جوانبها ، والإلمام بكافة أطرافها .

والخلاصة أن مادة (قصص) تقوم على التتبع ، سواء كان التتبع مادياً كقص العظام ، وقص الشعر ، وقص الأثر ، أو كان التتبع معنوياً كقص الأخبار وقص الكلام (١١) .

أما تعريف القصص اصطلاحاً : فتعني معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصة الفيل ، وحرب البسوس ، وحرب الفجار ، فالقصة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة ، اهتماماتها ، توجهاتها ، عقائدها، حياتها الاجتماعية ، ووضعها الاقتصادي والنفسي ، إذ إن هذه الجوانب مرتبطة ببعضها ارتباطاً حيوياً وثيقاً (١٢) .

---

(٨) سورة الكهف من الآية (٦٤).
(٩) سورة يوسف الآية (٣).
(١٠) ينظر: تاج العروس، الزبيدي ، (٣/ ٤٣٣) . لسان العرب ، ابن منظور، (٧٤/٧) مادة : (ق.ص.ص)
(١١) القصص القرآني، د. صلاح الخالدي، (٢٠/١) .
(١٢) جواهر الأدب ، السيد أحمد الهاشمي، (٢/ ٢٢) .

المبحث الأول

الصراع الإيماني في قصة أصحاب الكهف

يتجلى الصراع الإيماني بين أهل التوحيد وأهل الشرك بصورة واضحة في قصة أصحاب الكهف مع قومهم، وقد سطر القرآن الكريم في ثنايا آياته هذه القصة الباهرة ، حيث أبرز القرآنُ معالمَ الصراع الذي دار بين هؤلاء الفتية المؤمنين وبين قومهم بدقة عظيمة ، واعتنى القرآن بسرد أحداث قضيتهم عناية فائقة ذاكراً أحداث هذا الصراع الإيماني في ثنايا آياته المحكمة، ويمكننا تجلية الصراع الإيماني في تلك القصة على النحو الآتي:

المطلب الأول: تصوُّر أصحابِ الكهف لقضية الإيمان

كان أصحاب الكهف شباباً فتياناً، رغبوا عن ملة قومهم؛ فآمنوا بربهم وتركوا ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، قال الله ﷻ: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ (١٣) ، أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية ، أي أنهم كانوا شبابا ، وفي العادة يكون الشباب أقبل للحق، وأسرع انقيادا إليه، وأطوع له، وأهدى للطريق المستقيم ممن قد طعنوا في السن، بسبب أنهم قد انغمسوا في الدين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً ، وأما المشايخ من قريش وكبار القوم؛ فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل (١٤) .

وقد اختلفت أقوال العلماء في عدد هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، فقيل: كانوا ثلاثة، وقيل: خمسة، وقيل: كانوا سبعة، وهذا القول هو أقرب الأقوال إلى الصواب؛ لأن الله ﷻ لم ينكر قول من قال بذلك، كما قال الله سبحانه :﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ

(١٣) سورة الكهف، آية (١٣).
(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥ /١٢٧) .

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ ﴾ (١٥)، فذكر الله ﷻ اختلافَ الناس في عددهم ، فحكى ثلاثة أقوال، ثم ضعّف الأولين، وأبطلهما بوصفهما أنهما رجم بالغيب، وقرّر الثالث ، فدلّ على أنه الحق ؛ إذ لو قيل غير ذلك لحكاه، ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهاه ، فدل على ما قلناه (١٦) .

وقد كان هؤلاء الفتية من عِلية القوم ومن أهل الشرف فيهم كما قال مجاهد: (كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم، وأهل شرفهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئا ما أظنُّ أن أحدا يجده، قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السماوات والأرض، وقالوا: نحن نجد، فقاموا جميعا، فقالوا: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ (١٧)، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له: دقينوس، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً رقداً) (١٨)

وقد بدأ الصراع الإيماني بين الحق والباطل في بادئ الأمر في قلوب هؤلاء الفتية، قبل أن يقع بينهم وبين قومهم، حيث وجدوا ما ورثوه عن قومهم من عبادتهم للأصنام والذبح عندها ، والسجود لها مخالفاً لما عليه الفطرة السليمة النقية التي فطر الله عليها عباده ، وهي فطرة التوحيد والعبودية لله تعالى ، كما قال الله ﷻ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ

(١٥) سورة الكهف، آية (٢٢).
(١٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢١٧/١٥، ٢١٨) ، والبداية والنهاية ، ابن كثير، (٢/ ٥٦٩) .
(١٧) سورة الكهف من الآية (١٤).
(١٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، (١٧٢/١٥)، و الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٦٥/١٠) .

لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٩).

فقد قال بعضهم لبعض بعد التأمل والتفكر والتدبر:﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٢٠)، فقد خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا الله الذي خلق السموات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز عنهم إلى ناحية (٢١) .

وبذلك فقد تبين لهؤلاء الفتية المؤمنين بالله ضلالُ ما عليه قومهم، فاعتزلوا قومهم متميزين بعقيديتهم ودينهم الصحيح عنهم .

المطلب الثاني: رفض قوم أصحاب الكهف لفكرة الإيمان بالله

كان قوم أصحاب الكهف على دين وثني شركيّ ما أنزل الله به من سلطان ، يعبدون الأصنام من دون الله ﷻ ويسجدون لها ويذبحون عندها، كل ذلك بأمر ملكهم وتحت رعايته، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس ، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه (٢٢) .

وكان هؤلاء القوم لهم يوم يجتمعون فيه، فخرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، يقومون فيه بمظاهر شركهم ، فرأى هؤلاء الفتية ذلك ببصيرتهم، فتيقنوا بطلان ما عليه قومهم، فتخلوا عن دين

(١٩) سورة الروم الآية (٣٠).
(٢٠) سورة الكهف الآية (١٥).
(٢١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥ /١٢٧) .
(٢٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (١٤٧/٥)، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، (٣٢٥/١، ٣٢٦) .

قومهم، وأعلنوا عقيدة التوحيد والتبرؤ من الشرك وأهله، بل قد ورد أنهم قد دعوا قومهم إلى نبذ الشرك وإخلاص الدين لله وحده، قال الحسن البصري: (قاموا في قومهم؛ فدعوهم إلى التوحيد) (٢٣) .

عند ذلك بدأ الصراع الفعلي بين قوى الحق والإيمان وقوى الباطل والشرك يظهر في الأفق بعدما تخلى هؤلاء الفتية عن دين آبائهم .

ولما كان هؤلاء الفتية لا حيلة لهم في مجابهة قومهم ومقاومتهم لضعف شوكتهم وقلة حيلتهم ونقص عددهم فروا هاربين بدينهم؛ حتى لا يغلبوا عليه ويرضخوا لقومهم ويعودوا إلى ملة الكفر والشرك، فقد خرجوا من البلد تاركين المدينة وزخارفها وراءهم، نابذين أسباب الحياة ، قد غادروا وطنهم العزيز ومساكنهم الكريمة (٢٤) .

واختلف العلماء في بدو أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف، على ثلاثة أقوال: أقواهم قولان، أحدهما: أنهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براع له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوما فأخبرهم أنهم قد ذكروا، فبكوا وتعوذوا بالله تعالى من الفتنة، فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم قد غشيه ما غشيهم، هذا قول ابن عباس.

القول الثاني: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشرافهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم: هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئا ما أظن أحداً يجده، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربنا رب السموات والأرض، فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، وهذا قول مجاهد (٢٥) .

---

(٢٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٦٩/٣) ، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥ /١٢٧).

(٢٤) الصراع بين الإيمان والمادية ، تأملات في سورة الكهف ، أبو الحسن الندوي، (ص ٥٩) .

(٢٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٦٧/٣) . التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (٤٤٢/٢١) . الدر المنثور، السيوطي، (٣٦٨/٥، ٣٦٩) .

المطلب الثالث

الموقف القرآني من الصراع الإيماني بين أصحاب الكهف وبين قومهم .

صوّر القرآن الكريم هذه الحادثة وهذا الصراع الذي دار بين أصحاب الكهف وبين قومهم تصويراً واضحاً ، وقد افتتح الله ﷻ هذه القصة فقال: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (٢٦)، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف ــ الذين احتفظوا بإيمانهم وعقيدتهم السليمة مخالفين بذلك دين آبائهم وأجدادهم ــ على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطه بعد ذلك في ثنايا ذكر آيات القصة .

وسبب نزول قصة أصحاب الكهف، ما ذكره محمد بن إسحاق : أن قريشا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ ، ويسألونه عنها ؛ ليختبروا ما يجيب به فيها ، فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدرى ما صنعوا ، وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح؛ فأنزل الله ﷻ ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٢٧)،﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (٢٨)، ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ (٢٩) .

وامتن الله ﷻ على هؤلاء الفتية بالإيمان ووفقهم إلى الطريق المستقيم، وهو توحيد الله وترك عبادة غيره، ثم بعد هذه المنة العظيمة امتن عليهم بنعمة التثبيت على هذا

(٢٦) سورة الكهف الآية (٩).
(٢٧) سورة الإسراء الآية (٨٥).
(٢٨) سورة الكهف الآية (٩).
(٢٩) ينظر: السير والمغازي، ابن إسحاق ، (ص ٢٠٢)، ودلائل النبوة، البيهقي، (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠) ، وأسباب النزول، الواحدي (ص٢٩٢).

الإيمان ، قال الله ﷻ: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ (٣٠) ، ولما دل على الإحسان باسم الرب، وكان في فعله معهم من باهر القدرة ما لا يخفى، التفت إلى مقام العظمة فقال تعالى عاطفا على ما تقديره: فاهتدوا بإيمانهم: (وزدناهم) بعد أن آمنوا (هدى) بما قذفنا في قلوبهم من المعارف، وشرحنا لهم صدورهم من المواهب التي حملتهم على ارتكاب المعاطب، والزهد في الدنيا والانقطاع إليه (٣١) .

ثم بعد ذلك قال:﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ﴾ (٣٢) فبعدما ألهمهم الله ﷻ الإيمان وثبتهم عليه قوى قلوبهم، معني قوله تعالى:(وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) أي: ألهمناهم الصبر، فشددنا قلوبهم بنور الإيمان، وحفظناها بِالْإِيمَان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه (٣٣) .

ومما أنعم الله سبحانه على هؤلاء الفتية به أنه ألهمهم أن ينطلقوا إلى الكهف وآواهم إليه حتى يتواروا عن أعين المتربصين بهم ، وقد هيئ لهم هذا الغار، وأعده لما هم عليه مقبلون من جعلهم آية عبر الزمان، وجعل قصتهم حديث الأمم ، وهؤلاء الفتية كانوا مترفين منعمين، فالظاهر أنهم كانوا من بيوت رفيعة ، ومحتد كريم ــ فكان جزاء ذلك، أن هداهم الله إلى كهف واسع صحِّي، ولا تستطيع المنظمات الكبيرة أن تبني مثل هذه الكهوف، والملاجئ الواسعة، النظيفة الصحية، فكان شأنه أن يستفيد من منافع الشمس ــ وهي النور والدفء ــ ويسلم من مضارها، وهي الحرارة الزائدة ؛ ويدخل الهواء النقي فيضفي على أهله الحياة والنشاط (٣٤) .

(٣٠) سورة الكهف، آية (١٣).
(٣١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (٢١/١٢) .
(٣٢) سورة الكهف، آية (١٤).
(٣٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١٧٩/١٥) . التفسير الوسيط، الواحدي، (١٣٨/٣) .
(٣٤) ينظر: الصراع بين الإيمان والمادية، أبو الحسن الندوي، (ص ٥٩) .

وقد ذكر تعالى صفة الغار الذي آووا إليه ، وأن بابه موجه إلى نحو الشمال ، وأعماقه إلى جهة القبلة ، وذلك أنفع الأماكن ؛ أن يكون المكان قبليا ، وبابه نحو الشمال ، فقال الله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾(٣٥)، فأخبر أن الشمس ، يعني في زمن الصيف وأشباهه ، تشرق أول طلوعها في الغار في جانبه الغربي ، ثم تشرع في الخروج منه قليلاً قليلاً ، وهو ازورارها ذات اليمين فترتفع في جو السماء وتتقلص عن باب الغار ، ثم إذا تضيفت للغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلاً قليلاً إلى حين الغروب ، كما هو المشاهد في مثل هذا المكان ، والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ ﴾(٣٦)، أي : بقاؤهم على هذه الصفة دهرا طويلا من السنين ، لا يأكلون ولا يشربون ، ولا تتغذى أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة .

قال الله تعالى:﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾(٣٧)، قال بعضهم : لأن أعينهم مفتوحة ؛ لئلا تفسد بطول الغمض ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قيل : في كل عام يتحولون مرة من جنب إلى جنب ، ويحتمل أكثر من ذلك (٣٨) .

ولما وصل هؤلاء الفتية إلى الكهف دعوا الله ــ عز وجل ــ أن يلهمهم الصواب والرشد في جميع أمورهم فقال تعالى: ﴿ إِذ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٣٩)، فقد لجأوا إلى غار في

(٣٥) سورة الكهف، آية (١٧).
(٣٦) سورة الكهف، من الآية (١٧).
(٣٧) سورة الكهف، الآيتان (١٧ ، ١٨).
(٣٨) ينظر: البداية والنهاية ، ابن كثير، (٢/ ٥٦٥) .
(٣٩) سورة الكهف، الآية (١٠).

جبل ليختفوا فيه عن قومهم ، فقالوا حين دخلوا الغار سائلين الله ﷻ رحمته ولطفه بهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ أي: هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا ، ثم سألوا الله تعالى أن يجعل عاقبة أمرهم وما دخلوا فيه من الصراع مع قومهم خيرا فقالوا: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٤٠).

فقد أوكل هؤلاء الفتية جميع أمورهم لله وحده، من مخالفة قومهم وخروجهم عن عادات مجتمعهم وتقاليدهم وتركهم البيوت الفارهة والفرش والبسط ، فجعلهم الله تعالى آية وألقى عليهم المهابة . فلما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم والأهم من أمرهم ، ووصف حالهم ، حتى كأن السامع راء ، والمخبر مشاهد لصفة كهفهم ، وكيفيتهم في ذلك الكهف وتقلبهم من جنب إلى جنب ، وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد . قال :﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾(٤١)، أي : لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه (٤٢) .

وهكذا تكون نهاية الصراع الإيماني عادة، يبتلى أهل الإيمان بمقاومة أهل الشرك فإن صبروا على هذه البلايا والمحن عوضهم الله ﷻ عن صبرهم هذا نصرا في الدنيا وأجرا في الأخرة، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٤٣).

(٤٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، (٥ / ١٢٦) .
(٤١) سورة الكهف، من الآية (١٨).
(٤٢) ينظر: البداية والنهاية ، ابن كثير، (٢/ ٥٦٧) .
(٤٣) سورة النور، الآية (٥٥).

المبحث الثاني

الصراع المادي في قصة صاحب الجنتين

المطلب الأول: معالم الصراع المادي في قصة صاحب الجنتين

يتضح الصراع المادي بين أهل الإيمان بالله وأهل الإيمان بالمادة بصورة جلية في قصة صاحب الجنتين، الذي ورد ذكر قصته في سورة الكهف، وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة المليئة بالعبر والعظات، وضربها مثلاً خالداً عبر كل زمان حتى قيام الساعة؛ فهي قصة تتجدد عبر الزمان في كل مكان ، في واقعنا، وفي واقع من سبقنا، ومن خلفنا، فهي تظهر الصراع بين الفكر المادي وبين الفكر الإيماني .

وقد دارت أحداث هذه القصة بين رجلين : أحدهما يؤمن بالله وقدرته وتقديره، ويعلم أن كل فضل فهو من الله وبسببه، لأنه هو خالق الأسباب ومسببها، بينا الرجل الآخر كفر بالله وبربوبيته ويوم لقائه، ولم يعترف بفضل ربه وسلطانه على جميع ما هو في ملكوته سبحانه .

فضرب الله المثل بهذين الرجلين، أحدهما الشاكر لنعمة الله، والآخر الكافر لها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبر الناس بحالهما، ويتعظوا بما حصل لهما، وليس معرفة أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف (٤٤) .

وظاهر هذا المثل أنه بأمر وقع وكان موجوداً، وعلى هذا فسرّه أكثر أهل هذا التأويل، ويحتمل أن يكون المثل مضروباً بمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في وجود قط، والأول أظهر (٤٥) .

وبناء على ترجيح أن هذا المثل وقع وكان موجوداً؛ فقد اختلف العلماء والمفسرون في حقيقة الرجلين،: فقيل: هما أخوان من بني إسرائيل ، وأنهما ابنا ملك من بني إسرائيل، أنفق أحدهما ماله في سبيل الله تعالى، وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية

(٤٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ص ٤٧٦).
(٤٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٥١٥/٣) .

ماله، وهذا قول عبد الله بن عباس ﷺ(٤٦) ، وقيل: إنهما ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بماله أرضا وداراً ومتاعاً بألف بينما تصدق المؤمن بكل ماله ، ثم أصابت المؤمن حاجة فجلس لأخيه على طريقه، فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله، وقال الكلبي ﷺ: هما أخوان من بني مخزوم ، أحدهما كافر والآخر مؤمن ، (٤٧) .

والأرجح أن هذين كانا رجلين مصطحبين، وكان أحدهما مؤمناً، والآخر كافراً، وقد اتخذا الكافر منهما بستانين، وهما الجنتان المذكورتان في الآية الكريمة، وهذا هو ظاهر القرآن الكريم .

المطلب الثاني: تصور صاحب الجنتين عن الطبيعة المادية

كان صاحب الجنتين رجلا حالفته السعادة وتوفرت له أسباب الهناء والرخاء ، له جنتان من أعناب، محفوفتان بنخل ، يتخللهما الزرع الكريم ، إنها غاية السعادة والغبطة في الحياة المتوسطة، وإن الحياة المتوسطة هي المقياس في أغلب شؤون الدنيا ، ولم تقتصر سعادة السري الثري على وجود الجنتين فحسب، بل واتته الأسباب وجاءت الجنتان بخير حاصل ونتيجة،﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾(٤٨)، وهكذا تمت له السعادة، وتجمعت له أسباب الهناء والرخاء (٤٩) .

وقد استعمل صاحب الجنتين هذه النعمة العظيمة في غير موضعها، فلم يرى فضل الله ومنته عليه ، بل رأى ما هو فيه من النعيم رؤية مادية بحتة، فلما حاوره صاحبه المؤمن قال له في تبختر وتكبر:﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾(٥٠)، ولم

(٤٦) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (٧/١٤)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، (٢٩٦/١٠).
(٤٧) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (٧/١٤)، والتيسير في التفسير، النسفي، (٧١/١٠)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، الآلوسي، (٢٦٠/٨).
(٤٨) سورة الكهف، الآية (٣٣).
(٤٩) ينظر: الصراع بين الإيمان والمادية، أبو الحسن الندوي ، ص ٧٣ .
(٥٠) سورة الكهف، من الآية (٣٤).

يدرك صاحب الجنتين بفكره المادي أن ذلك ليس منقبة ولا شيء يُمتدح به، فإن الله يعطي الدنيا للمؤمن والكافر ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، فقد قال قتادة ﷺ في هذه الآية: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا) قال : (وتلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال، وعزّة النفر) (٥١) .

فلما رأى هذا النعيم ، وهذه الجنة التي لا ينقطع ثمرها التي تفضل الله بها عليه لم يشكر نعمة الله عليه ولا نسب الفضل إليه، بل ظن أنها قائمة بذاتها لا تفنى ولا تبيد ولا ينضب ماؤها، فدخل هذه الجنة في كبر وعجب، فقال الله ﷻ واصفا حاله حين دخل جنته : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ (٥٢)، أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾(٥٣)، وذلك اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف؛ وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة؛ ولهذا قال :﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾(٥٤)، أي: كائنة ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾(٥٥)، أي مرجعاً وعاقبة، والمقصود أنه لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي عَلَى مَا تَزْعُمُ أَنْتَ يُعْطِينِي هُنَالِكَ خَيْرًا مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطِنِي هَذِهِ الْجَنَّةَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِيُعْطِيَنِي فِي الآخرة أفضل منها (٥٦) .

(٥١) التفسير الوسيط، الواحدي ، (١٣٨/٣) .
(٥٢) سورة الكهف، الآية (٣٥).
(٥٣) سورة الكهف، من الآية (٣٥).
(٥٤) سورة الكهف، الآية (٣٦).
(٥٥) سورة الكهف، من الآية (٣٦).
(٥٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي، (٥ /١٧١) . اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، (٤٨٨/١٢) .

فلما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شك في المعاد إلى الله: ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا، ولا تفنى ولا تَخْرب، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه، فقال: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴾(٥٧)، فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾(٥٨) .

هنالك تثور الطبيعة المادية في هذا الرجل السري الثري ــ نفس الطبيعة التي تثور في أصحاب الولايات، وأصحاب رؤوس الأموال والعقارات، وأصحاب الزعامة والوزارات ، وأصحاب الصناعات والاختراعات، وأصحاب البوارج والمدمرات ــ تثور هذه الطبيعة التي لا يقهرها الإيمان، ولا تضبطها المعرفة الصحيحة، والتربية الصالحة، فينسب سعادته وجده إلى علمه ولباقته، وجهوده وذكائه، كما فعل قارون من قبل، فقال :﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾(٥٩)، ويفاخر صديقاً له لا يعادله في هذه السعادة فيقول في صراحة وجرأة: ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾(٦٠)،(٦١) .

ويذكر الإمام الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) أن العبدُ الصالحُ لما حاور صاحبَ الجنتين أدخله جنته مختالاً بماله وكثرة عياله: (أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته يطوف به فيها، ويريه عجائبها، وإفراد الجنة هنا يحتمل أن وجهه كونه لم يدخل أخاه إلا واحدة منهما، أو لكونهما لما اتصلا كانا كواحدة، أو لأنه أدخله في واحدة، ثم واحدة أو لعدم تعلق الغرض بذكرهما) (٦٢) .

(٥٧) سورة الكهف، من الآية (٣٦).
(٥٨) سورة الكهف، من الآية (٣٦).
(٥٩) سورة القصص، من الآية (٧٨).
(٦٠) سورة الكهف، من الآية (٣٤).
(٦١) ينظر: الصراع بين الإيمان والمادية، أبو الحسن الندوي، (ص ٧٤).
(٦٢) فتح القدير، (٣٣٩/٣) .

لقد دخل صاحب الجنتين – بفكره المادي – مركز رخائه وثرائه، ومركز نفوذه وسلطانه جاهلاً لنفسه، جاهلا بربه، جاهلا بالأسباب الخفية، والإرادة الإلهية التي تحكم من فوق سبع سموات، وتحول بين الإنسان وملكه، وبين الإنسان وقلبه ، ظالماً لنفسه ظلماً علمياً وعملياً، وخلقياً وعقلياً، فتنطق هذه الطبيعة المادية العمياء على لسان صاحبها الجاهل، فيعلن خلوده وخلود جنتيه، ويجحد بالبعث، ويعلن سعادته الدائمة في الدنيا والآخرة، إن كانت آخرة﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾(٦٣)، ويعتقد أنه من الرجال المجدودين السعداء، الذين لا يخونهم الحظ، ولا يعثر بهم الجد، ويكونون في كل مكان وزمان في أوج السعادة والسيادة . ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾(٦٤)، ويعتقد أمثال هذا أن لا حاجة إلى الإيمان والعمل الصالح والكدح، إنما سعادتهم الفطرية، التي تهيئ لهم الهناء والرخاء في كل وقت (٦٥) .

ويظهر من سياق آيات قصة صاحب الجنتين أن السبب الأعظم في شركه بالله ﷻ هو اعتماده على الأسباب الظاهرة كلية والفكر المادي دون الالتفات إلى مسببها تبارك وتعالى، فاعتقد أن الجنة قائمة بنفسها، والماء دائم فيها لا ينضب ، وأنها دائما في زيادة ولا حاجة له إلى تدبير الله تعالى وتقديره ، فظن أنه مستغن عن الله ﷻ ، وهكذا هم أصحاب الفكر المادي دائما ما يلتفتون إلى الأسباب المادية الظاهرة ولا يلحظون تدبير الله وتقديره وعنايته ، لذلك كان جزاء صاحب الجنتين من جنس عمله واعتقاده، فقد فنت جنته وأصبحت خاوية على عروشها كما ذكر الله ﷻ في كتابه فقال: ﴿ وَأُحِيطَ

(٦٣) سورة الكهف، من الآية (٣٤).
(٦٤) سورة الكهف، الآيتان (٣٥ ، ٣٦).
(٦٥) ينظر: الصراع بين الإيمان والمادية، أبو الحسن الندوي، (ص ٧٤).

بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾(٦٦).

يقول الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): " والإحاطة : الأخذ من كل جانب، مأخوذة من إحاطة العدو بالقوم إذا غزاهم ... والمعنى: أتلف ماله كله بأن أرسل على الجنة والزرع حسبانا من السماء؛ فأصبحت صعيدا زلقا، وهلكت أنعامه، وسلبت أمواله، أو خسف بها بزلزال أو نحوه ... وتقليب الكفين: حركة يفعلها المتحسر، وذلك أن يقلبهما إلى أعلى ثم إلى قبالته؛ تحسرا على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة، فهو كناية عن التحسر... والخاوية: الخالية، أي وهي خالية من الشجر والزرع، والعروش: السقف ... وهذا التركيب أرسله القرآن مثلا للخراب التام الذي هو سقوط سقوف البناء وجدرانه ... وأحاط به هذا العقاب لا لمجرد الكفر؛ لأن الله قد يمتع كافرين كثيرين طوال حياتهم، ويملي لهم، ويستدرجهم، وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه، وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير، فإنه لما اعتز بتلك النعم، وتوسل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعم عنه كما سلبت النعمة عن قارون حين قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾(٦٧)، وبهذا كان هذا المثل موضع العبرة للمشركين الذين جعلوا النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة؛ لأنها تجمع قوما يرونهم أحط منهم، وطلبوا من النبي ﷺ طردهم عن مجلسه" (٦٨) .

(٦٦) سورة الكهف، من الآية (٤٢).
(٦٧) سورة القصص، الآية (٧٨).
(٦٨) التحرير والتنوير، (٣٢٦/١٥) .

المطلب الثالث: تصور صاحب الإيمان عن الطبيعة المادية .

كان العبدُ المؤمنُ قرينُ صاحبِ الجنتين رجلاً مؤمناً بالله، موقنا بقدرته، ينسب الفضل إليه، مصدقاً بالمعاد والحساب، يأخذ بالأسباب ويعلم أن الله ــ عز وجل ــ هو مسببها .

لقد فتح الله بصيرة قرين صاحب الجنتين للحق والإيمان، وسعد هذا المؤمن بمعرفة الله وصفاته وأفعاله، وأنه هو المصرف لهذا الكون، والخالق للأسباب، والمغير للشؤون، فعارضه في مقالته وتفكيره المادي، ونبهه إلى أصله وحقيقته وبدايته، وهي الحقيقة القاسية التي يتناساها المجدودون المخدوعون، ويفرون من تذكرها: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾(٦٩)، وما أشق سماعه على المتكبرين الجبارين !! وذكر له أنه سائر في اتجاه معارض، وهو الاتجاه الإيماني:﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾(٧٠)، ثم ذكره بالحقيقة الأساسية التي تدور حولها سورة الكهف ، والوتر الحسّاس الذي تضرب عليه، وهو أنه ليس الشأن في الأسباب، إنما الشأن في خالق الأسباب ومالكها ، وكل ما يراه السري الثري من أسباب السعادة والهناء، ويغتبط بها، ليس من صنع الأسباب وليس من كسب يده وذكائه، إنما هو صنع الله الذي أتقن كل شيء، ويلفته ــ في حكمة ورفق ــ إلى الاعتراف بصنع وقدرته، وإسداء كلمة الشكر والحمد، ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾(٧١)،(٧٢) .

(٦٩) سورة الكهف، الآية (٣٧).
(٧٠) سورة الكهف، الآية (٣٨).
(٧١) سورة الكهف، الآية (٣٩).
(٧٢) ينظر: الصراع بين الإيمان والمادية ، أبو الحسن الندوي، ص ٧٥ ــ ٧٦ .

وعندما سمع من صاحب الجنتين ما سمع من الكفر بربوبية الله وألوهيته والتكذيب باليوم الآخر قام بما يجب عليه من النصح الواجب لهذا الرجل، فذكره بربوبية الله الذي خلقه ورعاه حتى بلغ أشده وأصبح رجلاً مكتمل الأعضاء والعقل، فقال له :﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾(٧٣)، ثم نصحه بأن ينسب النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليه من الجنتين والصحة والولد إلى خالقه تبارك وتعالى، فقال له : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾(٧٤)، أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾،(٧٥) .

فالعبد المسلم ينسب الفضل في كل ما حصل، والفضل في كل ما ينوي إلى الله وحده، ويقول:﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، وهي كلمة زاخرة بالمعاني، حاسمة للمادية المحضة، والاعتماد على النفس والإرادة الإنسانية .

ثم ذكر العبد المؤمن لصاحبه ما له عند الله يوم القيامة من الجزاء العظيم والأجر الجزيل في الدار الآخرة ، وخوفه من عذاب الله فقال له: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾(٧٦).

(٧٣) سورة الكهف، من الآية (٣٧).
(٧٤) سورة الكهف، الآية (٣٩).
(٧٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥ /١٤٣) .
(٧٦) سورة الكهف، الآيتان (٤٠، ٤١).

وينبه العبدُ المؤمنُ صاحبَ الجنتين إلى طبيعة الاختلاف في الحظوظ والجدود، وأن هذا التوزيع ليس أبدياً، لا يزول ولا يحول، وأنّ زمام الأسباب والتصرف في العالم لم يفلت من يد خالق الكون، فلا يزال يملكه، والشقي قد يسعد، والسعيد قد يشقى، والغني ربما يفقر، والفقير ربما يغني، فلا غرابة إذا انقلبت الأوضاع : ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾(٧٧)، وهكذا كان!! فطاف على الجنتين طائف من الله، وأصبح كل ذلك صعيداً جرزاً، هنالك أفاق الرجل السكران : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾(٧٨).

لقد وقع لصاحب الجنتين ما حذره منه العبد الصالح، فهلك ماله، ندم حين لا ينفع الندم، وكان الصاحب المؤمن رجلاً صالحاً، فحقق الله رجاءه، أو كان رجلاً محدثاً من محدثي هذه الأمة، أو من محدثي الأمم الماضية على الخلاف في المعني بالرجلين في الآية، ألهمه الله معرفة ما قدره في الغيب من عقاب في الدنيا للرجل الكافر المتجبر (٧٩) .

وهكذا يمتاز الفكر المادي والحضارة المادية بشدة الاعتماد على وسائلها وقواها وطاقاتها، فيعلن أربابها عن تحقق مشاريعها العمرانية والاقتصادية، حتى ما يتوقف منها

(٧٧) سورة الكهف، الآيات (٣٩-٤١).
(٧٨) سورة الكهف، الآيات (٤٢-٤٤).
(٧٩) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٣٢٦/١٥)

على موافقة الطبيعة، واعتدال المواسم والفصول، في المدة المحدودة من غير استثناء وشك، وتعلن أنها ستنتج كذا وكذا في كذا وكذا من الأعوام، وتصبح بلادها كافلة لنفسها، مستغنية عن الخارج، وتسخر منها الإرادة الإلهية، فتصاب بنقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبالمجاعات والمفاجئات التي لم تكن في الحساب، وتتخلف عنها الأمطار في حين أو مكان، وتصاب بالفيضان، والسيل العرم في حين أو مكان آخر ، فيخطئ التقدير ، وتخفق المشاريع ، ولا يعني ذلك طبعاً أن لا توضع المشروعات، وتتسع الدراسات القائمة على وسائل العلم في الإنتاج، وإنما المهم أن لا تطغينا مظاهر القوة والعلم، فنغفل عن جلال الله الذي خلق الأسباب ومسبباتها (٨٠) .

(٨٠) الصراع بين الإيمان والمادية، أبو الحسن الندوي، (ص ٧٥ – ٧٦) .

المبحث الثالث

الصراع الثقافي في قصة موسى عليه السلام مع الخضر

يتجلى الصراع الثقافي في آيات القرآن الكريم من خلال بعض القصص التي قصها الله ﷻ علينا في كتابه مما حدث ووقع للأمم السابقة في الزمان الغابر ، ولا شك أن الثقافات لابد وأن تتباين وتختلف من قطر إلى قطر ومن زمان إلى زمان، إذ سنة الله ﷻ في خلقه أنه جعلهم مختلفين في الطباع والثقافة وغيرها، وعد ذلك من نعمه على عباده فقال ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾،(٨١) ، وأثبت الله سبحانه هذا الاختلاف والتباين والتعددية وبين أنه مستمر وقائم إلى يوم القيامة فقال :﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾،(٨٢) .

ويلزم من وجود هذا التباين والاختلاف وقوع التنازع والصراع لاسيما الصراع الثقافي الفكري بين المختلفين سواء في ذلك على المستوى الاجتماعي الأممي أو كان على المستوى الفردي، ويظهر ذلك التنازع والصراع الثقافي واضحاً في قصة نبي الله موسى عليه السلام وما جرى بينه وبين الخضر ، فقد ذكر الله ﷻ أحداث هذه القصة العجيبة على وجه التفصيل في سورة الكهف .

المطلب الأول: سبب لقاء موسى عليه السلام بالخضر

وقعت هذه القصة مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام نبي بني إسرائيل، الذي أنزلت عليه التوراة، وذلك على خلاف من ذكر أنه ليس موسى نبي بني إسرائيل وأنه غيره.

(٨١) سورة الحجرات الآية (١٣).
(٨٢) سورة هود، الآية (١١٨).

قال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) : " قال أهل الكتاب :إن موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشى بن يوسف بن يعقوب، والحديث الصحيح عن النبي ﷺ أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران "(٨٣)

فموسى عليه السلام هو موسى بن عمران المذكور في القرآن، لأنه لم يذكر علم اسمه موسى سوى هذا الرسول الكريم، ومن يقول إنه موسى غيره، فهي دعوى بلا دليل ولا مصدر لها إلا ممن يشكك في القرآن بخلق أشياء لا أصل لها حول عباراته، إبعادا لمعانيه عن المراد منها .

تبدأ القصة بقول موسى عليه السلام:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾،(٨٤) أي: لا أترك السير (حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا) ، وهذا يفيد أن المقصد الأول له أن يبلغ مجمع البحرين أو يسير حقباً، أي زمنا طويلا، أي ما شاء الله تعالى أن يسير، ويظهر أن ذلك كان من موسى عليه السلام لتعرف الأراضي والناس في مرتحله، أو ليرتاد لبني إسرائيل مقاما، وقد سبقهم للارتياد ليكفيهم مئونته أولا، ولينقلهم إليه بعد الاهتداء إليه وتعرفه، وقد وصل إلى مقصده وهو بلوغ مجمع البحرين، ولذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾،(٨٥) .

ومجمع البحرين الذي بلغه نبي الله تعالى موسى – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم – يكون في المكان الذي خرج إليه موسى من أرض مصر، وقد خرج إلى سينا، والأردن، فهذه الأرض كانت المسار الذي يسير فيه، وهناك مجمعان كانا في ذلك الزمان، فكان هنا مجمع يلتقي فيه الخليج الفارسي بالمحيط الهندي وهناك مجمع يلتقى فيه البحر الأحمر أو بحر القلزم ببحر الأردن، وهو خليج العقبة ولا يهمنا أيهما، إنما

(٨٣) الكامل في التاريخ، (١ /١٤١) .
(٨٤) سورة الكهف، الآية (٦٠).
(٨٥) سورة الكهف ، الآية : (٦١) .

يهمنا أن موسى عليه السلام كان هدفه الوصول إلى مجمع البحرين أيهما في هذه المنطقة، وقد يكون قد سار إلى كل واحد منهما في نوبة من نوبات سيره، ويظهر أنهما في هذه الرحلة المتعرفة الباحثة التي يرتادها قد أعد للرحلة عدتها، فأخذ معه حوتا، يشويانه هو وفتاه في رحلتهما سدا للجوع، ولما بلغا مجمع البحرين تبين لهما أنهما تركا الحوت نسيانا له ولاشتغالهما بأمر الرحلة، وتعرف طرائقها المعبدة (٨٦) .

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: « قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَّالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، {فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا}، وَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى {لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ مُوسَى: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} قَالَ: رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى ثَوْبًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ

(٨٦) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٩ / ٤٥٥) .

عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، فَقَالَ مُوسَى: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا}(٨٧).

فلما وصل موسى ويوشع بن نون إلى المكان الذي غلب على ظنهما أنه مكان العبد الصالح وجداه مسجى بثوب طرفه تحت رأسه والأخر تحت رجليه، فسلم عليه موسى عليه السلام فتعجب من ذلك الخضر وقال له : وأنى بأرضك السلام؟ وهو استفهام استبعاد، يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين . فكان ذلك أول خلاف ثقافي ظهر بينهما ، حيث لم يعتد الخضر على أن يلقي أحد عليه السلام لذلك عجب من ذلك واستنكره، ثم سأل موسى عليه السلام من أنت ؟ فقال له : موسى . ثم شرع في طلب مقصود رحلته الطويلة، فقال له كما ذكر الله عز وجل في كتابه : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾(٨٨) ، فأخبره الخضر أنه لن يصبر على ما سوف يراه من العجائب لأنه يغاير ثقافته وعلمه الذي علمه الله ــ عز وجل ــ إياه، فإن موسى عليه السلام كان يعلم ظواهر الأمور ولا علم له ببواطنها لأنه لا يعلم الغيب ، فأصر موسى عليه السلام أن يرى ما قطع لأجله القفار ، ومن ثم بدأت هذه الرحلة المليئة بالعجائب .

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الكهف، باب {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} ، (٨٨/٦) حديث(٤٧٢٥) ، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، (١٧٤٨/٤)، حديث (٢٣٨٠) .

(٨٨) سورة الكهف ، الآية (٦٦) .

المطلب الثاني

موقف موسى عليه السلام مما فعله الخضر وبروز التباين الثقافي .

أخبر الخضرُ موسى عليه السلام أنه لا علم له إلا بما علمه الله عز وجل إياه من بواطن الأمور لأنه لا يعلم الغيب ، إذ لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل كما قال سبحانه :﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾،(٨٩) فقال له :(يا موسى، إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه . وأكد له على قلة علم الخلق مهما علموا من المعارف والعلوم فقال حين وقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر، فقال : ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره) (٩٠).

كل ذلك مقدمة لما سوف يفجع موسى عليه السلام من الأحداث التي تتصادم مع ثقافة موسى عليه السلام وعلمه بظواهر الأمور ، ثم قال له :﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾،(٩١) قال العالم لموسى: فإن اتبعتني الآن فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، فإني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علما ﴿ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعلها التي تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها (٩٢) .

---

(٨٩) سورة النمل، الآية (٦٥).

(٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الكهف، باب {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ} ، (٩١/٦) حديث(٤٧٢٧)

(٩١) سورة الكهف، الآية (٧٠).

(٩٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري، (٣٣٤/١٥) .

ثم بدأت الرحلة ، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾،(٩٣) ، لم يملك موسى، عليه السلام ، نفسه أن قال منكراً عليه :(أخرقتها لتغرق أهلها)، فعندها قال له الخضر مذكراً بما تقدم من الشرط﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾،(٩٤) يعني وهذا الصنيع فعلته قصداً، وهو من الأمور التي اشترطت معك ألا تنكر علي فيها، لأنك لم تحط بها خبرا، ولها دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت (٩٥) .

فقد ظهر لموسى ــ عليه السلام ــ بناءً على ثقافته أن ما فعله الخضر من أخذه لوح من ألواح السفينة هو خراب وإفساد في الأرض ، والإفساد في الأرض هو أمر منهي عنه في جميع الشرائع ، فأظهر اعتراضه على هذا الفساد الذي تبين له ووقع الصدام بين ثقافته وبين ثقافة الخضر فقال له موسى: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾،(٩٦) ، فعاتبه الخضر في ذلك لأنه لم يصبر ولم يلتزم بما شرطه عليه في بداية رحلته فقال له :﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾،(٩٧) ، ثم انطلقا سويا بعد هذا الحدث وموسى عليه السلام يعجب مما حدث من أمر السفينة ، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾،(٩٨) في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، قال السدي: كان أحسنهم وجها وكان وجهه يتوقد حسناً (٩٩) ، فلما رأى ذلك موسى عليه السلام هاله ذلك ، لم يتمالك نفسه من الاعتراض اللاذع لأن هذا الفعل قد خالف ثقافته وعلمه وهو أنه لا يجوز قتل نفس بغير جريرة ، هذا في حق الكبير المكلف فكيف بالصغير غير المكلف ؟ فقال معترضا على هذا التصرف الممنوع شرعا

(٩٣) سورة الكهف ، الآية (٧١).
(٩٤) سورة الكهف ، الآية (٧٢).
(٩٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، (٥ /١٦٤) .
(٩٦) سورة الكهف، الآية (٧١).
(٩٧) سورة الكهف ، الآية (٧٢).
(٩٨) سورة الكهف ، الآية (٧٤).
(٩٩) معالم التنزيل في تفسير، البغوي، (١٩٠/٥) .

وعقلا :﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾،(١٠٠) ، فذّكره الخضر بما اشترطا عليه من عدم الاعتراض على ما سوف يراه لأن ذلك يخالف مع عهده وما علمه من ظواهر الأمور وأن ما يفعله يتعلق بعلم علمه الله إياه لا تبلغه معارف موسى عليه السلام ، فاعتذر موسى عليه السلام مما قال من الاعتراض بسبب انزعاجه .

ثم انطلقا سويا وتابعا طريقهما حتى إذا دخلا قرية بعدما أصابهما الجهد والتعب ، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾،(١٠١) ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: هدمه الخضر ثم قعد يبنيه (١٠٢)؛ فاعترض موسى عليه السلام على فعل الخضر فقال له :﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾،(١٠٣) ؛ لأنهم لما لم يطعموهم وبخلوا عليهم في ذلك رأى موسى عليه السلام بحسب ثقافته أنهم لا يستحقون أن يقوم لهم الخضر بعمل ولا يأخذ مقابل لذلك، وذلك لأنه لا علم لموسى عليه السلام بباطن الأمر وما عليه حقيقته ، عندئذ حصل الفراق بين الخضر وموسى عليه السلام بسبب عدم صبر موسى عليه السلام على هذه الأمور التي تخالف ثقافته وعلمه الذي علمه الله إياه ، فقال له الخضر : ﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾،(١٠٤) .

(١٠٠) سورة الكهف ، الآية (٧٤).
(١٠١) سورة الكهف ، الآية (٧٧).
(١٠٢) معالم التنزيل في تفسير، البغوي، (١٩٣/٥) .
(١٠٣) سورة الكهف، من الآية (٧٧).
(١٠٤) سورة الكهف ، الآية (٧٨).

المطلب الثالث

موقف الخضر مما فعله من الأمور التي أنكرها موسى عليه السلام

قام الخضر عليه السلام بتبرير ما فعله من أمور عجيبة وأحداث جسيمة، فبدأ بحادثة السفينة فقال :﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾،(١٠٥)، قال مقاتل بن سليمان: (يأخذ كل سفينة صالحة صحيحة سوية (غصبا) يعني :غصبا من أهلها، يقول :فعلت ذلك لئلا ينتزعها من أهلها ظلما، وهم لا يضرهم خرقها (١٠٦) وهكذا كان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصباً، فلذلك عابها الخضر لتسلم من الملك (١٠٧) .

وبذلك زال العجب من فعل الخضر عليه السلام ؛ لأنه فعل ما توجب عليه مما أعلمه الله ﷻ بما فيه المصلحة لهؤلاء المساكين ، إذ خرق السفينة وتعييبها بعيب يسير أيسر من استيلاء الملك عليها .

ثم ثنى الخضر بحادثة الغلام الذي قتله فقال :﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾،(١٠٨)، قال مقاتل بن سليمان : (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) ، وكان الغلام كافرا، يقطع الطريق، ويحدث الحدث، ويلجأ إليهما، ويجادلان عنه، ويحلفان بالله ما فعله، وهم يحسبون أنه بريء من الشر (١٠٩) .

فكانت حكمة الله ﷻ في ذلك أن يحفظ بقتل هذا الولد دين الأبوين فلا يتبعان ولدهما على الكفر، ثم أبدلهما ولدا صالحا مؤمنا ، حيث قال الخضر لموسى عليه السلام :﴿ فَأَرَدْنَآ

(١٠٥) سورة الكهف ، الآية (٧٩).
(١٠٦) تفسير مقاتل بن سليمان، (٥٩٨/٢).
(١٠٧) النكت والعيون، الماوردي ، (٣/ ٣٣٣) .
(١٠٨) سورة الكهف ، الآية (٨٠).
(١٠٩) تفسير مقاتل بن سليمان، (٥٩٨/٢) .

أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾،(١١٠)، ثم ثلث الخضر عليه السلام بحادثة الجدار فقال :﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾،(١١١)، الظاهر في الكنز أنه مال مدفون جسيم، كما قال عكرمة. وقال ابن عباس: كان علما في صحف مدفونة. والظاهر أيضاً أن أباهما هو الأقرب إليهما الذي ولدهما دنية، وحُفظ هذان الغلامان بصلاح أبيهما (١١٢) .

ثم بين له الخضر أن ذلك كله الذي خالف علمه وثقافته وما ألفه من الحكم على الأمور بالظاهر ليس برأيه وما هو إلا وحي من الله بذلك واطلاعه على بعض الأمور الباطنة فقال :﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾،(١١٣)، لذلك اختلف في الخضر عليه السلام هل كان رجلا صالحا أم كان نبيا من الأنبياء لاطلاعه على هذه الأمور؟

قال الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) : " والأظهر أن الخضر نبيء عليه السلام وأنه كان موحى إليه بما أوحي، لقوله (وما فعلته عن أمري) ، وأنه قد انقضى خبره بعد تلك الأحوال التي قصت في هذه السورة، وأنه قد لحقه الموت الذي يلحق البشر في أقصى غاية من الأجل يمكن أن تفرض، وأن يحمل ما يعزى إليه من بعض الصوفية الموسومين بالصدق أنه محوك على نسج الرمز المعتاد لديهم، أو على غشاوة الخيال التي قد تخيم عليهم، فكونوا على حذر، ممن يقول: أخبرني الخضر" (١١٤) .

(١١٠) سورة الكهف ، الآية (٨١).
(١١١) سورة الكهف ، الآية (٨٢).
(١١٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، (٢١٥/٧) .
(١١٣) سورة الكهف ، الآية (٨٢).
(١١٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٦/ ١٦) .

المبحث الرابع

الصراع النفسي في قصة مريم عليها السلام

يتبين الصراع النفسي في القرآن الكريم في ثنايا آياته المحكمة من خلال ما ذكر ﷻ من أحداث وعبر من خلال قصص الأمم السابقة ، ويبرز هذا المعنى جلياً في قصة السيدة مريم بنت عمران ــ عليها السلام ــ وما حدث بينها وبين قومها من بني إسرائيل، والذي جرى ذكره في سورتي آل عمران وسورة مريم، وقد خلد القرآن الكريم في ثنايا آياته هذه القصة العظيمة وما فيها من معانٍ سامية وما تضمنتها من صراعات نفسية .

المطلب الأول: النشأة المباركة لمريم بنت عمران عليها السلام

نشأت مريم بنت عمران ــ عليها السلام ــ في أسرة مباركة طاهرة اصطفاها الله ﷻ على العالمين، قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١١٥).

أما آل عمران: فهم مريم، وعيسى، فمريم بنت عمران بن ماتان – كذا سماه المفسرون – وكان من أحبار اليهود، وصالحيهم، وأصله بالعبرانية عمرام بميم في آخره فهو أبو مريم، قال المفسرون :هو من نسل سليمان بن داود، وهو خطأ، والحق أنه من نسل هارون أخي موسى، وكانت أمها، وهي حنة بنت فاقود بن قبيل، من العابدات، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم أشياع في قول الجمهور، وقيل : زوج خالتها أشياع (١١٦) .

ونشأت مريم عليها السلام في بيت صلاح وطهر، فقد كان أبوها صاحب صلاة تقياً ، وكانت أمها طاهرة عفيفة كما ذكر ذلك بنو إسرائيل وشهدوا وأقروا به ، وقد حكى الله

(١١٥) سورة آل عمران، الآية (٣٣).
(١١٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٢/ ٤١٧) . التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٢٣١/٣) .

ﷻ قولهم ، قال تبارك وتعالى على لسانهم :﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾(١١٧).

قال قتادة رحمه الله: (كانت مريم من أهل بيت يُعرفون بالصلاح، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحاً محبباً في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. قال: وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل) (١١٨) .

وقد كانت مريم عليها السلام صالحة تقية ورعة ، فمنذ حملها قد وهبتها أمها لخدمة بيت الله عز وجل شكراً له على ما أنعم به من نعمة الولد، لأنها كانت لا تلد، فقد قال الله ﷻ:﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(١١٩).

قال ابن عطية (ت٥٤١هـ) : (أي: جعلت نذرا أن يكون هذا الولد الذي في بطني حبيساً على خدمة بيتك، محرراً من كل خدمة وشغل من أشغال الدنيا، أي: عتيقاً من ذلك ... والبيت الذي نذرته له، هو بيت المقدس . قال ابن إسحاق: كان سبب نذر حنة، أنها كانت قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ... فدعت الله أن يهب لها ولدا، فحملت بمريم، وهلك عمران، فلما علمت أن في بطنها جنينا؛ جعلته نذيرة لله أن يخدم الكنيسة، لا ينتفع به في شيء من أمر الدنيا) (١٢٠) .

وقد غلب على ظن أمها أنها تحمل ذكرا، فلما وضعت تبين لها أنها ولدت جارية، وكانوا إنما يهبون الذكور لبيت الرب ﷻ فقالت معتذرة إلى ربها تبارك وتعالى :

(١١٧) سورة مريم، الآية (٢٨).
(١١٨)الدر المنثور، السيوطي، (٥٢٣/١٥) .
(١١٩) سورة آل عمران، الآية (٣٥).
(١٢٠) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٤٢٤/١) .

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾(١٢١).

وقد دعت الله ﷻ أن يحفظها من شر الشيطان وأذاه، كذا دعت لذريتها من بعدها، وقد استجاب الله تعالى لدعوتها، فقد تكفل الله ﷻ براعيتها وتربيتها ووضع لها الأسباب المعينة على ذلك ، فقال تبارك وتعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ ﴾(١٢٢).

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : " وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا؛ ولأنه كان زوج خالتها، على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما وقيل: زوج أختها، كما ورد في الصحيح: فإذا بيحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضا توسعاً، فعلى هذا كانت في حضانة خالتها" (١٢٣) .

وقد جعل الله ﷻ من الكرامات ما يليق بها وبصلاحها، فقد كان يرزقها من حيث لا تحتسب مما أدهش كافلها زكريا عليه السلام : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١٢٤).

(١٢١) سورة آل عمران، الآية (٣٦).
(١٢٢) سورة آل عمران، الآية (٣٧).
(١٢٣) تفسير القرآن العظيم (٢ /٣٠) .
(١٢٤) سورة آل عمران، من الآية (٣٧).

وبذلك قد أنبتها الله ﷻ نباتاً حسناً حتى تم بلوغها واكتمل عقلها ، فهي واحدة ممن اكتمل عقلهن من نساء العالمين، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: « كَمَلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلّا مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وفَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائِرِ الطَّعامِ » (١٢٥) ؛ فقد اصطفاها الله ﷻ وطهرها وشرفها على باقي نساء العالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١٢٦).

وهذه النشأة المباركة والتربية القويمة والاستقامة الرشيدة التي نشأت عليها مريم عليها السلام، جعلت ما تعرضت له من تهم وإفك له أثره النفسي السيئ عليها؛ فهي لم تكن كآحاد البشر، بل كانت من كُمَّل البشر؛ ومن ثم فقد أصابها اتهام قومها لها بصراع نفسي ، جعلها تعيش في محنة قاسية لولا أن تداركها لطف الله ومعيته .

المطلب الثاني: معالم الصراع النفسي بين مريم عليه السلام وقومها

بدأت معالم الصراع النفسي بين مريم ــ عليها السلام ــ وبين قومها من بني إسرائيل تلوح في الأفق بعدما بشرها جبريل عليه السلام بولدها عيسى ابن مريم، فبعدما تمثل لها في صورة بشر سوي قال لها :﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾(١٢٧) ؛ فتعجبت مريم عليها السلام مما بشرها به جبريل عليه السلام، لأنها ليست

(١٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (١٦٤/٤) حديث، (٣٤٣٣) . ومسلم في صحيحه ، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، (١٣٢/٧)، حديث (٢٤٣١) .

(١٢٦) سورة آل عمران، الآية (٤٢).

(١٢٧) سورة مريم، الآية (١٩).

ذات زوج ولم تقترف إثما تلام عليه، فقالت لجبريل عليه السلام متعجبة مما بشرها به :﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾(١٢٨).

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) :" (ولم يمسسني بشر) أي: لم يقربني زوج ولا غيره (ولم أك بغيا) البغي: هي الزانية التي تبغي الرجال ... وزيادة ذكر كونها لم تك بغيا مع كون قولها: لم يمسسني بشر يتناول الحلال والحرام لقصد التأكيد تنزيها لجانبها من الفحشاء، وقيل: ما استبعدت من قدرة الله شيئا، ولكن أرادت كيف يكون الولد هل من قبل زوج تتزوجه في المستقبل أم يخلقه الله سبحانه ابتداء ؟ وقيل: إن المس عبارة عن النكاح الحلال، وعلى هذا لا يحتاج إلى بيان وجه قولها: ولم أك بغيا"(١٢٩)

فنفخ جبريل عليه السلام في درعها فحملت بإذن الله بشرا سويا ، فضاق ذلك بمريم عليها السلام ذرعا، واشتد ذلك على نفسها لما سوف تلاقي من قومها، فإنها تعلم أنهم لا يصدقون قولها، ولا يمكن لها أن تثبت صحة ما تقول، فهي في موضع التهمة، وهنا كان الصراع النفسي على أشده، فهي صادقة في قولها وما ادعته، لكنها لا تقدر إثباته ولا حيلة لها على ذلك، وقد بين الله ﷻ حالها وما تعانيه في شدتها فقال : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾(١٣٠).

استسلمت مريم عليها السلام لقضاء الله لما أخبرها به جبريل عليه السلام عن ربه، ولما أخذ حملها يكبر شيئا فشيئا بدأت شكوك قومها تظهر، فهم يعلمون عفتها ، لكنهم ينكرون كبر بطنها ، فالمشهور الظاهر – والله على كل شيء قدير– أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس، يقال له: يوسف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك من أمرها، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها، ثم تأمل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره، لا يستطيع صرفه عن

(١٢٨) سورة مريم، الآية (٢٠).
(١٢٩) فتح القدير، (٨٧/٣) .
(١٣٠) سورة مريم، الآية (٢٢).

نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول، فقال: يا مريم، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي علي. قالت: وما هو؟ قال: هل يكون قط شجر من غير حب؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من غير أب؟ فقالت: نعم – فهمت ما أشار إليه – أما قولك: "هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر؟ " فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر " وهل خلق يكون من غير أب؟ فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم. فصدقها، وسلم لها حالها (١٣١) .

ثم اعتزلت مريم عليها السلام قومها لئلا يطعنوا في عرضها وهي الطاهرة العفيفة ، وازداد الصراع النفسي شيئا فشيئا حتى بلغ أشده فاعتزلت قومها في مكانا بعيد لا يراها فيه أحد ، فصادف ذلك وقوع المخاض لها وقرب ولادتها، فقالت حين ذلك :﴿ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾(١٣٢).

وهذا دليل على مقام صبرها وصدقها في تلقي البلوى التي ابتلاها الله تعالى. فلذلك كانت في مقام الصديقية. والمشار إليه في قولها قبل هذا هو الحمل، أرادت أن لا يتطرق عرضها بطعن ولا تجر على أهلها معرة. ولم تتمن أن تكون ماتت بعد بدو الحمل لأن الموت حينئذ لا يدفع الطعن في عرضها بعد موتها ولا المعرة على أهلها إذ يشاهد أهلها بطنها بحملها وهي ميتة فتطرقها القالة (١٣٣) .

فلما وضعته لم تجد مفرا من أن ترجع إلى قومها،﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾(١٣٤)، وهنا بلغ الصراع النفسي أشده وأعلى درجاته حيث حصل الاتهام المباشر لها من قومها دون مداراة ،﴿ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾(١٣٥)، جاءتهم مع

(١٣١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١٩٧/٥) .
(١٣٢) سورة مريم، من الآية (٢٣).
(١٣٣) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٨٥/١٦-٨٦) .
(١٣٤) سورة مريم، الآية (٢٧).
(١٣٥) سورة مريم، الآيتان (٢٧، ٢٨).

ولدها حاملة إياه على أن الباء للمصاحبة ولو جعلت للتعدية صح أيضا. والجملة في موضع الحال من ضمير مريم أو من ضمير ولدها. وكان هذا المجيء كما قال الكلبي ﷺ بعد أربعين يوما حين طهرت من نفاسها قيل: إنها حنت إلى الوطن وعلمت أن ستكفى أمرها فأتت به، فلما دخلت عليهم تباكوا وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام (١٣٦) ؛ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾(١٣٧)، فقد برأها الله ﷻ مما قالوا وما اتهموها به من الفاحشة .

(١٣٦) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٦٧/١٧)، والتفسير البسيط، الواحدي، (٢١٨/١٤)، ومعالم التنزيل، البغوي، (٢٢٨/٥)، وروح المعاني، الآلوسي، (٤٠٦/٨) .
(١٣٧) سورة مريم، الآيتان (٢٩، ٣٠).

المبحث الخامس

الصراع السياسي بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ

ظهر الصراع السياسي في آيات القرآن الكريم من خلال بعض ما قص الله ﷻ علينا من القصص والأحداث الواقعة في زمان الأمم السابقة، وما حدث فيها من تنازع سياسي وصراع بين الأمم والحضارات ، ويظهر الصراع السياسي واضحا جليا في قصة نبي الله سليمان بن داود ــ عليهما السلام ــ . حيث ذكر الله ﷻ ما دار بينه وبين ملكة سبأ ، وفصّل لنا في سورة النمل هذا الحدث العظيم، وما جرى بين سليمان الملك النبي عليه السلام وبين هذه الملكة التي كانت تشرك بالله ﷻ من صدام سياسي وصراع حضاري مبنيٌّ على ما كان عليه سليمان عليه السلام من الإيمان الخالص، وما كانت عليه ملكة سبأ من الشرك بالله والكفر به .

المطلب الأول

دور سليمان عليه السلام في الدعوة إلى الله وتنظيم أمور الحكم .

كان سليمان عليه السلام ملكاً نبياً ، بعثه الله تعالى بعد أبيه داود ــ عليهما السلام ــ . فهو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن ناعر بن سلمون بن يحشون بن عمي بن يادب بن رام بن خضرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (١٣٨) .

نشأ سليمان عليه السلام في بيت علم ونبوة ، وتربى في كفالة المُلك، وورث الشجاعة والحكمة عن أبيه داود عليه السلام ، وكان سليمان عليه السلام يشارك أباه في أمور الحكم والقضاء، ويساعده في تدبير أمور الدولة، وكان يحكم في بعض القضايا بأدق مما يحكم أبوه داوود عليه السلام ، بل كان داود عليه السلام يرجع لحكمه في كثير من القضايا ويأخذ برأيه لظهور نباهته وصوابه ودقته(١٣٩).

(١٣٨) ينظر : تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، (٢٢/ ٢٣١) .
(١٣٩) ينظر: التيسير في التفسير، النسفي، (٣٣٢/١١).

وقد أنعم الله ﷻ على سليمان عليه السلام بأن أعطاه النبوة والملك ، وفي ذلك يقول ﷻ:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾(١٤٠)، يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان، عليهما من الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين ... (وورث سليمان داود) أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثة المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة. ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله: « إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ» (١٤١)(١٤٢) .

ويعد عصر سليمان عليه السلام أزهى عصور بني إسرائيل، فقد أسس لهم دولة قوية ومملكة الصالحة بحضارتها الراقية العجيبة، ولئن كان النبي سليمان عليه السلام حاكماً قوياً عادلاً فقد مكن الله له في الأرض بما أعطاه من الحكم والملك ، إلا أن الله ﷻ أنعم عليه بما هو أعظم من ذلك، فقد أعطاه النبوة وورثها له خلفاً لأبيه داوود عليه السلام ، ومعلوم أن مهمة أي نبي الأولى هي دعوة الخلق إلى الله ﷻ وتوحيده وعبادته، فقد كان سليمان بن داود عليه السلام ملكاً يسوس مملكته كحاكم من الحكام ، وهو مع ذلك نبي كريم يدعو إلى الله

(١٤٠) سورة النمل ، الآيتان (١٥ ، ١٦).
(١٤١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، (٦ /١٦٤ - ١٦٥) . اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، (١٢/١٣) .
(١٤٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الفرائض، باب: ذكر مواريث الأنبياء، (٩٨/٦)، حديث [٦٢٧٥]، قال ابن حجر:" إسناده على شرط مسلم" التلخيص الحبير، (٢١٨/٣)، وقد أخرجه الشيخان بلفظ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ.»ينظر: صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ " لا نورث، ما تركناه صدقة" ، (١٤٩/٨) حديث (٦٧٢٦) ، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ " لا نورث، ما تركناه صدقة" ، (١٣٨٠/٣)، حديث (١٧٥٩) .

، ويحارب الشرك، ويمكن للتوحيد ، وظهر ذلك في قصته مع ملكة سبأ التي ذكرها القرآن الكريم في سورة النمل .

فقد كانت ملكة سبأ تسكن اليمن ، وكان سليمان عليه السلام يسكن فلسطين، وشاء الله عز وجل أن يطلع سليمان عليه السلام على أخبار ذلك البلد وانتشار الشرك فيه عن طريق أحد جنوده وهو الهدهد، وفي ذلك يقول سبحانه :﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾(١٤٣)، فظاهر الآية أن سليمان عليه السلام تفقد جميع الطير، والمراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها. وكانت تصحبه في سفره وتظله بأجنحتها(١٤٤)، فلما تيقن عليه السلام من غياب الهدهد توعده بالعقاب الشديد أو ليذبحنه إذا لم يبرر سبب غيابه تبريراً يعفيه من العقوبة . فقال عليه السلام : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وقد ذكر عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما صفة هذا العذاب الشديد فقال: نتف ريشه وتشميسه (١٤٥) .

فلما رجع الهدهد أخبر سليمان عليه السلام بسبب غيابه وهو أنه استكشف أرضاً بعيدة – هي سبأ – وقد لفت نظره هناك أمران كبيران : الأول وجود امرأة تحكم على رأس هذه الدولة وتتمتع بملك وسلطان عظيم . والثاني هو عبادة هذه الملكة و قومها للكواكب ، قال عز وجل:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

(١٤٣) سورة النمل ، الآيتان (٢٠ ، ٢١).
(١٤٤) الجامع لأحكام القرآن، القرآن، (١٧٧/١٣).
(١٤٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ، (٢٥٥/٤) ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (١٧٧/١٣).

عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾(١٤٦).

فلما أخبر الهدهد سليمان بسبب غيابه أراد أن يتأكد من هذا المبرر وليطلع على حقيقة هؤلاء القوم ، فكلف الهدهد بحمل رسالة إلى هؤلاء القوم ، فقال له :﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾(١٤٧)،

يخبر تعالى عن قيل سليمان، عليه السلام ، للهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ، أي: أصدقت في إخبارك هذا، (أم كنت من الكاذبين) في مقالتك، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟ إن سليمان عليه السلام يعلم أن الهدهد آية الله له مثل النمل تماما، ومع ذلك يعلم أتباعه منهج تلقي الخبر، وضرورة تفحصه، ومعرفة حقيقته حتى لا يصدق الإنسان كل ما يقال(١٤٨)،

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ،

وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها، وأعطاه لذلك الهدهد فحمله في جناحه كما هي عادة الطير، وقيل: بمنقاره، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدبا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته،

(١٤٦) سورة النمل ، الآيات (٢٢-٢٤).
(١٤٧) سورة النمل ، الآيتان (٢٧ ، ٢٨) .
(١٤٨) ينظر: ركائز القدوة في تفسير الدعوة، أ.د/أحمد غلوش، (٥٩٨/١٠).

ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾(١٤٩)،(١٥٠).

فقد قام سليمان عليه السلام بمهمتين من خلال إرسال هذا الكتاب : الأولى دعوة هؤلاء القوم إلى الله وترك الشرك فهي مهمة الرسل الأولى ، والثانية وهي مهمة تتعلق بالحكم والسياسة فقال : (ألا تعلوا عليَّ) ؛ فكان فحوى الكتاب في غاية الوضوح والقوة، فهو مبدوء بـــ (بـــسم الله الرحمن الرحيم). ومطلوب في الكتاب أمر واحد: ألا يستكبروا على مرسله وهو سليمان عليه السلام ولا يعصوا أمره، وأن يأتوا إليه مستسلمين لله عز وجل .

ويتبين من صيغة هذا الكتاب أن فيه حزم وجزم واستعلاء وتلويح بالقوة لمن امتنع عن الاستجابة لأمر الله وحكم نبيه سليمان عليه السلام، وهو ملئ بالدروس في منهجية الدعوة إلى الله تعالى، ففيه: أهمية معرفة المدعوين لاختيار الموضوع والأسلوب والبرهان الذي يتم مخاطبتهم به، وكذلك الإيجاز في الدعوة مع الإحاطة والشمول، واختيار الدعاة المتميزين بالإخلاص، والصدق والفهم وحب الدعوة، وقد اختار عليه السلام الهدهد في مهمة دعوية لسبق علمه ببلقيس وقومها، وسرعة وصوله إليهم(١٥١) .

المطلب الثاني

موقف ملكة سبأ السياسي من خطاب سليمان عليه السلام

كانت ملكة سبأ لها ملك عظيم وشأن كبير كما ذكر الله عز وجل في كتابة، وكانت مشركة تدعو قومها إلى عبادة الكواكب، فقد كانوا يسجدون للشمس من دون الله عز وجل، ولما دعاها سليمان عليه السلام إلى الاستسلام لله عز وجل والخضوع له ، والتسليم لعظمة ملكه وسلطانه عن طريق الكتاب الذي أرسله مع الهدهد ؛ أظهرت هذه المرأة حسن التقدير والاحترام والفهم لمضمون هذه الرسالة ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ

(١٤٩) سورة النمل، الآيتان (٣٠، ٣١).
(١٥٠) النكت والعيون، الماوردي، (٢٠٥/٤) . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، (١٧٠/ ٦) .
(١٥١) ينظر: ركائز القدوة في تفسير الدعوة، أ.د/أحمد غلوش، (٦٠٠/١٠).

ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾(١٥٢)، وكانت هذه الملكة تتمتع بالسياسة والحكمة وحسن التقدير، فقامت بجمع أهل مشورتها ثم عرضت عليهم قضية كتاب سليمان عليه السلام وما يترتب عليه من التغيير في العقيدة والعبادة وسيادة ملكهم ومستقبل دولتهم؛ حيث لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها؛ ولهذا قالت:﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾(١٥٣)،(١٥٤) قال النسفي (ت٥٢٧هـ): " أي: تحضرون فأشاوركم وأمضيَه على اتفاق منكم، استعطفتهم وراعتهم فاحترموها"(١٥٥)، وذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾(١٥٦)، أي: منّوا إليها بعددهم وعددهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا:﴿ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾(١٥٧)، أي: نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس، إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فما لنا عاقة عنه. وبعد هذا فالأمر إليك، مري فينا برأيك نمتثله ونطيع، قال الحسن البصري، رحمه الله: (فوضوا أمرهم إليها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرا عجيبا بديعا، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص

(١٥٢) سورة النمل، الآيتان (٣٠، ٣١).
(١٥٣) سورة النمل، الآية (٣٢).
(١٥٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (١٦٠/١٥).
(١٥٥) التيسير في التفسير، (٣٥١/١١).
(١٥٦) سورة النمل، الآية (٣٣).
(١٥٧) سورة النمل، من الآية (٣٣).

إلي وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا؛ ولهذا قالت: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(١٥٨)، (١٥٩) .

فكانت امرأة عاقلة حكيمة استعملت العقل والسياسة، ولم تغتر بما أبداه جيشها ورجالها من القوة والبأس، وحسن النظام، وكمال الطاعة، لما يترتب على ردها من تغيير ملك بلادها وتغيير عقيدتهم وسياستهم، أرادت أن تتأكد من صدق سليمان عليه السلام وأنه نبي مرسل وليس مجرد ملكا صاحب سلطان وحسب فقالت لهم: أيها القوم، هذا كتاب من ملك ، فإذا عاندناه وحاربناه ربما يغلبنا، ويدخل ديارنا فيهتك ستِرنا، وإن الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين غازين أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، نعم. ومثل ذلك وأكثر منه يفعلون! وإني سأعرض عليكم رأيا آخر، ربما كان أحكم وأسلم، ذلك أن نرسل لسليمان هدية نصانعه بها، وتأتي رسلنا بأخباره الحقيقية، فإن كان ملكًا من ملوك الدنيا فرح بها وقبلها، وإن كان نبيًا مرسلاً رفض ولم يرضَ إلاَّ بتغيير العقيدة وإعلان الإسلام، فقالت لقومها: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(١٦٠)،(١٦١).

المطلب الثالث

مآل الصراع السياسي بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ .

لما دخلت رسل بلقيس على سليمان عليه السلام بهداياهم ردها، وخاطبهم بلغة القوة والحرب؛ فقال :﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(١٦٢).

(١٥٨) سورة النمل، الآية (٣٤).
(١٥٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦ /١٧١) .
(١٦٠) سورة النمل، الآية (٣٥).
(١٦١) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (١١٨/٤).
(١٦٢) سورة النمل، الآية (٣٧).

وبذلك قد انتقل الخطاب من الدعوة إلى الله بالتبليغ والموعظة الحسنة بإرسال الكتاب وإعلامهم بالرسالة حيث إنها المرحلة الأولى في دعوة الرسل؛ لأن الله ﷻ لا يؤاخذ أحداً من عباده حتى يرسل إليه رسولا ، كما قال سبحانه في كتابه :﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾(١٦٣)، فلما علم هؤلاء القوم بمقصود دعوة سليمان عليه السلام انتقل خطابه من السياسة إلى إظهار القوة والبطش لمن امتنع عن الاستجابة لله ولنبيه ودعوته فقال لهؤلاء الرسل :﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾(١٦٤)، فأمر الرسولَ بأن يرجع إلى ملكة سبأ وقومها وتوعدهم بأن يحشد إليهم ما لا طاقة لهم به وما لا يستطيعون مقاومته، ولا أمتنع عن دعوتكم إلى الإسلام، (١٦٥) .

قال وهب وغيره من أهل الكتب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، قالت: قد عرفت – والله– ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، فأقبل سليمان حينئذ على جنوده . ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾(١٦٦) أي: مؤمنين، فأراد سليمان

(١٦٣) سورة الإسراء، الآية (١٥).
(١٦٤) سورة النمل، الآية (٣٧).
(١٦٥) ينظر: التيسير في التفسير، النسفي، (٣٥٥/١١).
(١٦٦) سورة النمل، الآية (٣٨).

عليه السلام أن يريها قدرة الله عز وجل وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها (١٦٧) .

فبهذا التصرف السياسي الحكيم من سليمان عليه السلام ثم التوعد باستعمال القوة والبطش بعد محاولة استمالته بالسياسة والهدايا قد رجحت كفته وانتصر في هذا الصراع السياسي .

ولما استجابت ملكة سبأ لدعوة سليمان عليه السلام ودخلت في دينه وخضعت لحكمه وإرادته قد أعزت بذلك نفسها وحقنت دماء قومها ، حيث خضعت لسليمان عليه السلام ولحكمه وسلطانه ، وقد أنعم الله عز وجل عليها بنعمة الهداية فقد أسلمت لله رب العالمين ، وتبعها قومها فأسلموا مثلها، فأكرم بها من امرأة وملكة كانت تحكم شعبها بأسلوب الشورى، وجنبت شعبها ويلات الحرب، وبسياستها الحكيمة وعقلها الرزين، وكذلك ويلات الهلاك في الآخرة إذا ظلوا على كفرهم ولم يسلموا لله رب العالمين مع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام.

وقد دلت الآيات الكريمات في هذا المبحث على:

– القائد يتفقد عادة جيشه وجنوده، وقد فعل ذلك سليمان عليه السلام أثناء مسيره ومروره بوادي النمل، فتفقد جنس الطير، وكان سبب تفقده ما تقتضيه عادة العناية بأمر الملك، والاهتمام بعناصر الجيش وبكل جزء منها، كما دل ظاهر الآية.

– قوله تعالى: (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً) دليل على أن الحدّ أي: العقوبة على قدر الذنب، لا على قدر الجسد، ولكن يرفق بالمحدود في الزمان والصفة، وأما ذبحه فدليل على أن الله أباح له ذلك، كما أباح ذبح البهائم والطير للأكل وغيره من المنافع.

(١٦٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (١٦٣/٦)

– قوله تعالى: (أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ) أي: علمت ما لم تعلمه من الأمر، دليل على من قال: إن الأنبياء لا تعلم الغيب، ودليل على أن الصغير يقول للكبير، والمتعلم للعالم: عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه.

– الاعتذار الصحيح مقبول عند أهل الحق والإيمان، فقول الهدهد: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) دفع فيه عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح.

– قول الهدهد: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) وقوله: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) دليل على أنه داع إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له.

– قوله تعالى: (أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم، بباطن أعذارهم؛ لأن سليمان عليه السلام لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه، وإنما صار صدق الهدهد عذرا لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد، وكان سليمان عليه السلام حبب إليه الجهاد.

– قوله تعالى: (اذْهَبْ بِكِتَابِي هذا ...) دلّ على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعوتهم إلى الإسلام، وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وإلى كل جبار، كما دلت الآية على سرعة الهدهد في تبليغ الكتاب إليهم، وعلى إيتائه قوة المعرفة وفهم كلامهم، وأن الملكة فهمت الكتاب فورا بواسطة مترجم، وعلى حسن آداب الرسل أن يتنحوا عن المرسل إليهم بعد أداء الرسالة، للتشاور فيها(١٦٨) .

(١٦٨) ينظر: التفسير المنير، د/ وهبه الزحيلي، (٢٨٦/١٩).

الخاتمة وأهم النتائج

بعد حمد الله تعالى على ما وفّق من تمام هذا البحث ، يرسو القلم منهياً البحث حيث انتهت مباحثه، مسجلاً أهم النتائج التي توصلت إليها والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١) شمل القرآن الكريم ألواناً شتى من الصراع بين الحق والخير وأصحابهما من ناحية ، وبين الباطل والشر وأصحابهما من ناحية أخرى، تمثل ذلك في الصراع الإيماني، والمادي، والثقافي، والنفسي، والسياسي... إلخ من ألوان الصراع بين أصحاب الحق والخير والقيم وبين مخالفيهم عبر التاريخ البشري الطويل.

٢) تجلى الصراع الإيماني بين أهل التوحيد وأهل الشرك بصورة واضحة في قصة أصحاب الكهف مع قومهم، حيث أبرز القرآنُ معالمَ الصراع الذي دار بين هؤلاء الفتية المؤمنين وبين قومهم بدقة عظيمة، وأظهر القرآن الكريم مقاومة أهل الإيمان لأهل الشرك، ثم كان النهاية بانتصار أهل الإيمان الذين صبروا على البلايا والمحن، فعوضهم الله ﷻ عن صبرهم هذا نصراً في الدنيا وأجراً في الآخرة .

٣) يتضح الصراع المادي بين أهل الإيمان بالله وأهل الإيمان بالمادة بصورة جلية في قصة صاحب الجنتين، وهي قصة قرآنية خالدة وضربها الله عز وجل مثلاً خالداً عبر كل زمان حتى قيام الساعة؛ فهي قصة تتجدد عبر الزمان في كل مكان ، في واقعنا، وفي واقع من سبقنا، ومن خلفنا، كاشفةً عن الصراع بين الفكر المادي وبين الفكر الإيماني .

٤) تمثل الصراع الثقافي المبني على وجود التباين بين البشر في أخلاقهم وعلومهم وأفهامهم وعقولهم، حيث وقوع التنازع والصراع الثقافي الفكري، والذي ظهر واضحاً في قصة نبي الله موسى ﷻ وما جرى بينه وبين الخضر ﷺ ، حين فعل الخضر ﷺ ما أنكره موسى ﷺ .

٥) تمثّل الصراع النفسي جلياً في القصص القرآني في قصة السيدة مريم بنت عمران ــ عليها السلام ــ وما حدث بينها وبين قومها، وقد خلّد القرآن الكريم هذه القصة العظيمة وما تضمنتها من صراعات نفسية ، والذي بدأ بعدما بشرها جبريل ﷺ بولدها عيسى ابن مريم عليهما السلام ، وازداد الصراع النفسي شيئاً فشيئاً حتى بلغ أشده فاعتزلت قومها ، ثم بلغ الصراع النفسي أشده وأعلى درجاته حيث حصل

الاتهام المباشر لها من قومها دون مداراة، لكن الله لطف بها وبرأهما مما رموها به ، فحصلت طمأنينتها وسكونها .

٦) تجلى الصراع السياسي في آيات القرآن الكريم من خلال بعض ما قص الله ﷻ علينا في قصة نبي الله سليمان بن داود عليه السلام. حيث ذكر الله ﷻ ما دار بينه وبين ملكة سبأ ، وفصّل لنا الصدام السياسي والصراع الحضاري، المبنيٌّ على ما كان عليه سليمان عليه السلام من الإيمان الخالص، وما كانت عليه ملكة سبأ من الشرك بالله والكفر به .

فهرس المصادر والمراجع

١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢. البداية والنهاية ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار هجر، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٤م .

٤. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم ابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤م .

٦. التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أبو الحسن، تحقيق: د/عبد العزيز بن محمد اليحيى، العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

٧. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي ،تحقيق: رضوان جامع رضوان ،مكتبة أولاد الشيخ – القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ .

٨. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ .

٩. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ .

١٠. تفسير المنار ، الشيخ محمد رشيد رضا ،دار المنار – القاهرة ،الطبعة الثانية ، ١٩٤٧م .

١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق – سورية، ط١ ، ١٩٩١م.

١٢. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار القدس العربي، القاهرة، ط١ ٢٠١٧م.

١٣. التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي، أبو حفص، تحقيق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب– اسطنبول– تركيا، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر الطبري ، دار هجر – القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م .

١٦. الجامع الصحيح ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٤٠٠م .

١٧. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي و محمود حامد عثمان، دار الحديث – القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .

١٨. جواهر الأدب ، السيد أحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

١٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفكر – بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

٢٠. ركائز القدوة في تفسير الدعوة، أ.د/أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط١ ٢٠١٣م.

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢٢. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

٢٣. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .

٢٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٥. صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٦. الصراع بين الإيمان والمادية ، تأملات في سورة الكهف ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

٢٧. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب– دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ .

٢٨. القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي ، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م

٢٩. القصص القرآني (عرض أحداث وتحليل وقائع)، د. صلاح الخالدي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى . ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٣٠. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي عز الدين ابن الأثير، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٣١. كتاب السير والمغازي ، محمد بن إسحاق ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

٣٢. الكشف والبيان في تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير – جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.

٣٣. لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ،١٩٩٣م .

٣٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .

٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار طيبة – الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .

٣٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢ ، بدون.

٣٧. المفردات في غريب القرآن ،أبو القاسم الحسين بن محمد (المعروف بالراغب الأصفهاني) ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت ،٢٠٠٩م.

٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٣٩. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت .

Research Summary

The research is directed to study the colors of the conflict through the Qur'anic stories, as the follower of the verses of the Holy Qur'an does not fail to stand on the fact, its conclusion is that these conflicts are a year upon which God has established his universe.

From this point of view, this research was labeled: (Colors of Conflict in Qur'anic Stories), which includes multiple colors of types of conflicts - faith, material, cultural, psychological and political - that were mentioned in the Holy Qur'an through stories and events that highlight the nature of these conflicts, and the verses The impressive Qur'anic verse is eloquent with its meanings, wisdom, and exhortations in its narration of the issue of the conflict between right and its opponents, and between evil and its opposite.

The research is organized into an introduction, a preface, five topics, and a conclusion.

Keywords (colors - conflict - Quranic stories - the owners of the cave - the owner of the two gardens).